نهاية شاعر

للأستاذ إبراهيم الوائلي

سل الشاطئ الوسنان والطير والزهرا
أحقاً فقدت اللحن والعطر والخمرا ؟

أحقاً ثوى في نشوة الحلم شاعر   على النيل كم غنى وكم رتل الشعرا ؟
أحقاً هوى من ذروة الأيك صادح   وكانت به الأفنان حالمة سكرى ؟

سل الشاطئ الوسنان والموج ضاحك
تداعبه الأنسام ناعمة السرى

وليل الندامى والكؤوس وكرمة   معرشة الأطراف والواحة الخضرا
وعرساً جلته الفاتنات وزوقت   مواكبه الدنيا فتاهت به كبرا
وشهباً أطلت تسكب النور فوقه   وتنثر من أكمامها الماس والدرا
وطيراً كأحلام العذارى تلافتت   وما اتخذت إلا برفرفه وكرا
وعيداً تقال الخطو زهواً وفتنة   ودنيا من الآمال تستقبل البشرى :
أحقاً تشور العاصفات فتطلق   شموع ولم تبلغ طلائعها الفجرا ؟
فيالك مرسا من كالطيف مسرعا   وغاب عن الآفاق إلا رؤى الذكرى
طوته أعاصير الخطوب وأضمرت   به ومولنا يمسح الظل والعطرا
سل الشاطئ الوسنان أولا تخله   وأحلامه والذكريات وما مرا
فقد رجع الملاح نشوان باسماً   وقد ودع الأمواج والتيه والبحرا
مشى ... بالما تنكابعين جنونها   فهبت على الزورق محمومة كدرا
وأهوت على القلع الهوم فانطوى   من الأفق والمجداف قد شارف العبرا
ولم تدر أن الزورق السمح مثقل   بآمال قلب جازت المد والجزرا !!

* * *

عروس القوافي نام ليلك وانمحت   مساحب أذيال وريع الهوى ذعرا
وقد أصبح الريحان حولك ذاوياً   ينوح أخاه الآس والزنبق النضرا
وغاب « على » والنشيد وشعلة   من الفكر في ظلماء قد سميت قبرا
وعاد الخيال العبقري قصيدة   من الصمت تستوحي المجاهل والقفرا
كأن لم يكن بالأمس زجيع مطرب   ونغمة عود يسحر اللب والفكرا

* * *

عليّ . ودنيا الشعر بعدك راعها
من الهول أن تستنطق الشوك والصخرا

دعتك لنيل الخازن وبأسهم   وللأمل المكلوم والمقلة الحسرى
وللعاشق الولهان والشوق عارم   وللقلب يصلى من تباريحه جمرا
وللأرض النشوان يستشرف الربى   ويسكب في أفيائها اللحن والسحرا
وللشرق تدعوه لشكل جديدة   وللغرب توليه الجنحة الغرا

شدوت على النيل الخصيب محلقاً
ولحت على باريس تصطحب « النسرا »

وطوفت في الغرب البعيد فلم تدع   هنالك سهلاً يستجيب ولا وعرا

ورافقت عيد « الكرنفال » مهوماً
مع الليل و « الجندول » قد واكب النهرا

وسامرت « لوجانو » تداعب غيدها
وغنيت « فينسيا » وشطآنها الخضرا

وناجيت « كومو » والعرائس تلتقي
عليها تذيع الحب والوصل والهجرا

وودعتها صديان إلا تعلة   تسرى بها عن نفسك الألم المرا
ترانيم توحي الذكريات نشيدها   وتمرح كالأنسام عابقة نشرا
فقالوا: أديب هام بالغرب واجتوى   ربوعاً غذته الروح والفم والنحرا
وأغرته آفاق وغيد ونهزة   من العمر لم يبرح بها واجداً مغرى !
وما علموا أن الخيال متى سما   طوى بجناحيه العوالم والدهرا

* * *

عليّ . وهذا الشعر تجوى تبثها   دفاقات قلب عز أن يجد الصبرا
وجدتك حيناً تبعث اللحن واثباً   فينساب من ثغر تجهم وافترا
وآونة تزجيه حسران غاضباً   وتنفث من أحشائك القطع الحرا
فهل كنت في الأولى من الدهر بالغاً   مسارب عيش سمحة النبع والمجرى ؟

وهل كنت في الأخرى على شر مورد
فأوسعت هذا العالم النظر الشزرا ؟

عرفت بالضدين حب ونقمة   وأي امرئ لا يجمع الخير والشرا ؟
عذرتك إذ تنكر الحياة ضنينة   وتعرض عنها حين تعرض مزورا
وتنسى من التاريخ أحلام شاعر   وتدفن في الأوهام عيشك والعمرا
وتستقبل الأيام لا برماً بها   فإن ضقت تلقاها عابلهب الصدرا
فما أنت إلا الشاعر الحر قد أبى   من الدهر مالا يقنع الشاعر الحرا

* * *

على . وما أنسى من العمر ليلة[1]   صحبتك فيها باسماً كالندى ثغرا

(١) حفل الأستاذ الجليل الزيات تعرف أحد الشاعرين بالآخر في ندوة الرسالة .